Date submitted: 01/07/2010

جرازينا لوفاندوفيتش- نوزال
مكتبات الأطفال – التعرف على الثقافات المختلفة – أمثلة من بولندا

أصبحت بولندا بعد الحرب العالمية الثانية دولة متجانسة الأعراق. ففى عام 2002 أعلن 1.23 % من السكان (أى مايساوى 471.500 من المجموع الكلى 38.632.000 مليون) بأن جنسيتهم ليست بولندية. وعلى الرغم من أن هذه البيانات مضى عليها 10 سنوات (حيث لا توجد بيانات أحدث) فإننا نتوقع إزديادا فى هذا لإطار. من أكثر المجموعات العرقية عددا فى بولندا فى الفترة التى أخذ فيها التعداد هم: الألمان (152.897) والبيلاروسيين (48.737) والأوكرانيين (3.095) والرومانيين (12.855). أما المجموعات التى يزيد عددها عن 200 فرد فتشمل: الروس والليمكوسيين والليثوانيين والكاشوبيين والسلوفاكيين.
ويمكن وصف المجموعات السابقة بالأقليات "القديمة" بمعنى أنهم إما مستوطنين بولنديين أو أنهم وجدوا أنفسهم داخل الحدود البولندية بعد التغيرات التى أحدثتها الحرب العالمية الثانية. أما الفيتناميين فهم الأقلية "الجديدة" الأكبر عددًا (عددهم تقريبا 2000) يليهم الفرنسيين (أكثر من 1600) ثم الأمريكيين والإيطاليين واليونانيين. هذه التغيرات الحديثة فى التركيب العرقى البولندى إزدادت قوتها بفضل التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى جاءت مع بدايات ثمانينات القرن الماضى وانفتاح بولندا على العالم بعد انضمامها للاتحاد الأوروبى (2004) حيث أصبحت بولندا أكثر جاذبية للمهاجرين من آسيا ودول الاتحاد السوفييتى السابقة وتركيا. برغم ذلك فإن بولندا لاتزال بلدا متجانس الأعراق.
ونتيجة للتغيرات المذكورة سابقا فإن المكتبات العامة بالإضافة إلى مكتبات الأطفال قد أولت قضايا التعدد الثقافى أهمية كبيرة. ففى عام 2008 كان لدى بولندا 8420 مكتبة عامة من ضمنها 978 مكتبة أطفال ونشء.

وإليك بعض الأمثلة التى تثبت أن المكتبيين البولنديين يدركون أهمية تعريف الصغار بعالم الثقافة والتنوع العرقى:

1. بدأت وحدة الأطفال بمكتبة أوسويسيم البلدية منذ عام 1993 برنامجا على المدى الطويل باسم "تمثيل الثقافات الأجنبية والتكامل الثقافى من خلال كتب الأطفال". تم تنفيذ البرنامج من خلال مجموعة من مقتنيات كتب اللغات الأجنبية (يبلغ مجموعها الآن 13 مجموعة) ساهم فيها القسم البولندى لهيئة IBBY ضمن هيئات أخرى. والهدف الرئيسى من البرنامج هو إتاحة الفرصة لصغار القراء بشكل منهجى للتعرف على الأدب اليابانى والسويدى والليتوانى و والعبرى والفرنسى والتشيكى والسلوفاكى والألمانى والإنجليزى والنرويجى والدانمركى والبرتغالى والسويسرى بالإضافة إلى التعرف على ثقافات وتاريخ وواقع تلك الدول. كما يهدف البرنامج أيضا إلى تجهيز هؤلاء الأطفال والشباب للتعامل مع العالم الحديث المتكامل وتطوير قدراتهم على التغلب على المعوقات وأشكال التحيز الموجودة لدى المناظرين لهم فى السن من الدول المختلفة بحيث يتشكل الحوار والبحث عن كل ماهو مشترك بينهم وتفهم الإختلافات الثقافية والعرقية مما يساعد فى اتخاذ مواقف بناءة فيما بينهم وتحسين معرفتهم باللغات الأجنبية. وكجزء من هذا البرنامج هناك عدد من المعارض الخاصة باللغات الأجنبية ومعارض تاريخ وجغرافيا الدول الأجنبية بالإضافة إلى ورش عمل القراءة التى تستخدم أساليب تدريس تعتمد على التفاعل واللعب. وخلال المعارض تعقد المحاضرات ويتقابل الأفراد من الثقافات المختلفة كما تعرض على المسارح القصص والأساطير الملحمية القومية وتنظم المسابقات المعرفية والأدبية والفنية الخاصة بالدول المختلفة. وأحيانا تصاحب هذه المعارض ندوات ومؤتمرات أو حلقات نقاش علمية ذات موضوعات عالمية أو محلية موجهة إلى الدوائر الأدبية للأطفال. تقدم هذه الأحداث وكل مايتعلق بها على فترة ستة شهور. أما المادة التى تم جمعها فتعمل "كمعارض متجولة" تستأجرها المكتبات المختلفة والمؤسسات الأخرى فى بولندا لدعم مثل تلك البرامج. وفيما يتعلق بهذه الأنشطة فإن مكتبة أوزويسيم فازت بجائزة IBBY/ASAHI لعام 1999.

2. فى بعض المكتبات العامة فى أولزتين وروكلو وبالتحديد فى مكتبتين إعلاميتين للنشء (سن 13 – 25) فتحتا عام 2004 فى إطار مشروع لمؤسسة بيرتلسمان بالشراكة مع الحكومات المحلية والمكتبات البلدية يقوم المتطوعون من الشباب من برنامج الشباب الأوروبى بتنظيم ورش العمل المخصصة لثقافة بلادهم أو مقاهى اللغات. و"مقهى اللغة" هو مفهوم يعرفه الراغبون فى تحسين مهاراتهم اللغوية بمساعدة المدرس أو ابن اللغة. وبصرف النظر عن التعلم الفعلى للغة الأجنبية فإن الفرصة متاحة أمام المشاركين لتعلم أشياء أخرى كثيرة عن ثقافة البلد حيث يطرح كل أسبوع موضوع جديد مثل أشهر الأطباق فى البلد والموسيقى والتاريخ والأدب إلخ. هذه الاجتماعات مجانية ولها شعبية كبيرة كما أن هؤلاء المتطوعين يشتركون بشكل فعال فى كل أنشطة المكتبة وذلك عن طريق تنظيم دروس فى الفن والموسيقى والتمثيل وإقامة المعارض. كما يقومون أيضا بنشر المعرفة الخاصة ببلادهم فمثلا فى الماضى قامت إحدى المتطوعات الفرنسيات بتقديم سلسلة من اللقاءات لقراء المكتبة تتناول إقليم بريتانى الفرنسى موطنها الأصلى تعلم فيها الأطفال أشياء أخرى شيقة كصناعة القبعات التقليدية والرقص على الموسيقى الخاصة بالإقليم. وكل هذه اللقاءات مفيدة لكل من القراء والمتطوعين أنفسهم حيث يستطيعون بأشكال إبداعية كثيرة تتبع هواياتهم واكتساب خبرات جديدة بالإحتكاك بالشباب والصغار من أبناء بولندا.
3. وفى أولزتين مرة أخرى بعد أن قامت شركة ميشلان الفرنسية بشراء مصنع المطاط الموجود حاليا وصلت إلى المدينة جماعة كبيرة من السكان متحدثى الفرنسية وبها أسر تعول أطفالا قامت من أجلهم مكتبة الأطفال "Abecadło" (وتعنى "حروف الهجاء") المؤسسة فى 2006 بجلب المقتنيات من الكتب الفرنسية وتشجيع أدب الأطفال. من الجدير بالذكر أن مكتبة الأطفال هى من أحدث المكتبات العامة فى بولندا. ويرجع نجاح المكتبة جزئيا إلى موقعها الفريد حيث توجد بأحد متاجر البلدية الشهيرة ويسمى "ألفا".
4. شاركت المكتبات البولندية أيضا بفاعلية فى المشروعات الدولية للتعرف المشترك على الثقافات. من هذه المبادرات الشهيرة مشروع BARFIE الذى نفذته إحدى المكتبات العامة فى ضاحية أورسوس بوارسو فى السنوات من 2002 إلى 2004. وهذا المشروع الذى يجرى فى 11 دولة أوروبية يهدف إلى تطوير التعليم عبر الثقافات المختلفة من خلال كتب الأطفال والإعلام. من أهم أنشطة المشروع إنشاء كتالوج الأطفال والشباب الأوروبيين والذى يحتوى على كتب تتناول بعض الموضوعات الصعبة. ستة كتب بولندية وجدت طريقها إلى هذا الكتالوج منها "جيز" (القنفد) لكاتارزينا كوتوسكا والتى تعالج فيه مشكلة تبنى الأطفال و"ماجدا.دوك" لمارتا فوكس وتحكى عن قضية حمل غير متوقعة لفتاة مراهقة. هذا وقد ساهمت بعض الكتابات التربوية للمدرسين الذين يستخدمون كتب الكتالوج فى إستكمال مادة المشروع.
أما الآن فإن مكتبة أورسوس / وارسو تعمل بمشروع دولى آخر لتشجيع التواصل عن طريق كتب الشباب ومنها مشروع EPBCII وهو المشروع الثانى لمجموعات الكتب الأوروبية المصورة.
تشارك كثير من مكتبات الأطفال وخاصة تلك الموجودة فى إقليم سيليسيا فى أحد المشروعات التشيكية بعنوان "ليلة مع أندرسون" وهو حدث يقع مرة واحدة فقط فى العام. ويقضى الأطفال ليلة عيد ميلاد أندرسون بالمكتبة يستمعون إلى الحكايات والقصص أو يشاهدون الأفلام كما يمكنهم من خلال الإنترنت التواصل مع المشاركين الآخرين فى بلادهم وبالتحديد جمهورية التشيك وسلوفاكيا.
5. فى عام 1991 أسس الإقليم الأوروبى نيسى-نيسا-نايسا فى نقطة التقاطع بين بولندا وجمهورية التشيك وألمانيا وهو أول تعاون رسمى عبر الحدود. وفى عام 1997 قامت مكتبات جيلينيا جورا (بولندا) ودريسدن (ألمانيا) وليبيريك (جمهورية التشيك) فى مبادرة تعاون مشترك بإصدار دليل لمكتبات الإقليم الأوروبى بثلاث لغات. إعتمد مؤلفى هذا الإصدار على الفرضية التى تقول بإنه "إذا كنت تعرف القليل عن جيرانك فإن ذلك يساعد على سوء الفهم". وبالتالى فإن زيادة الوعى الثقافى والتربوى الذى تتيحه هذه المكتبات البولندية والألمانية والتشيكية يشكل فرصة جيدة

للتوعية والتعليم المشترك لسكان الإقليم الأوروبى. كما نظمت عام 1996 مسابقة فنية وأدبية للأطفال من الدول الثلاث بسم "روبل-زيبيور-كاركونوس" (شبح الجبل) وهو شخصية أسطورية مشتركة لكل سكان الإقليم الأوروبى. فى هذه المسابقة يقوم الأطفال بتأليف تصوراتهم عن هذه الأسطورة ورسم صور لهذا الشبح. أما أحدث مبادرة فى هذا الإطار فكانت عبارة عن إصدار كتيب بثلاث لغات يتناول مكتبات الأطفال (2004). من ثمار هذا التعاون المستمر أيضا بين دول الإقليم سلسلة من المؤتمرات والحلقات العلمية الخاصة بمكتبات الأطفال حيث يتم تبادل الآراء فى كل ما يتعلق بالأطفال والشباب من موضوعات.

6. فى الثمانينات والتسعينات من القرن الماضى تعاونت مكتبة دولنوسلاسكا العامة (المكتبة العامة لسيليسيا السفلى) فى روكلو لعدد من السنوات مع مجموعة من المواطنين الرومانيين بالمنطقة. تراوحت أعمار الأطفال الذين زاروا المكتبة مابين 4 و 12 سنة وكان معظمهم من الأولاد الذين تعاملوا مع المكتبة باعتبارها ناديا للشباب يوفر الجو المناسب ويعمل بها الذكور والإناث وأحيانا يقدمون للزائر ساندوتش بينما هو يستمع إلى بعض حكايات الغجر مثل "فرع من شجرة الشمس" للمؤلف الغجرى الشعبى المعروف جيرزى فيكوسكى كما يمكن للطفل أن يرسم ما يشاء مع وفرة أقلام وورق الرسم. توقف هؤلاء الأولاد عن الحضور إلى المكتبة عندما انتقلت المجموعة الرومانية إلى مكان آخر وافتتحت معارض تعددت بها المعروضات والمنتجات وتوفر بها الجو المناسب أيضا.

فى عام 2009 تعاونت أيضا مع قسم الأطفال بمكتبة دولنوسلاسكا العامة فى روكلو الشركة الكورية LG بينما كانوا يجددون المكان. ونتيجة للديكور المستخدم فقد أطلق على هذا المركز إسم "مكتبة القارات السبع" كما افتتح بالمكتبة مايعرف باسم "نافذة على كوريا" به عدد من الكتب عن كوريا يمكن استعارتها. هذا وتعتزم المكتبة بدء التعاون مع إحدى المدارس التى يرتادها الأطفال الكوريين. هذا النوع من التعاون لايزال فى مراحله الأولى لكنه يتطور بشكل إيجابى من أجل إزالة الحواجز بين البلدين. وبرغم الإدارة الداخلية الجيدة لهذا المركز المعنى باللغة والثقافة إلا أن دوائر المهاجرين الأسيويين ينظمون إعارة الكتب فيما بينهم (صحفهم ومجلاتهم الخاصة) وعادة مايتم ذلك فى أماكن الأسواق الخاصة بهم. كما أن هناك مكتبات مثل تلك للمهاجرين من روسيا السابقة.

كتب الكاتب البولندى المعروف ريزارد كابوشينسكى فى كتابه "رحلات مع هيرودوت" هذا النص عن إشكالية "الآخر" والمجتمعات متعددة الثقافات: " ولكون هيرودوت ممتلئا بحماس وإعجاب الأطفال فهو يتعرف على عالمين جديدين. واكتشافه الهام هو: هناك الكثير منهم. وكل منهم يختلف عن الآخر. كل منهم له أهميته. وعليك أن تتعرف عليهم لأن هذه العوالم والثقافات الأخرى هى بمثابة المرايا التى ننظر فيها نحن وثقافتنا إلى أنفسنا. وبفضلها نفهم أنفسنا بشكل أفضل لإنه لايمكن تعريف هويتنا الخاصة إلا بعد أن نتوقف عن مواجهة الآخرين. وهكذا وبعد أن قام هيرودوت بعمل اكتشافه، إكتشافه بأن الثقافة مرآة ننظر فيها إلى أنفسنا كل صباح لنفهم أنفسنا بشكل أفضل، يبدأ مرة أخرى بلا كلل ليحضر لرحلة جديدة" [1].

بلا شك فإن قضية الخدمات المقدمة إلى المواطنين الأجانب فى المكتبات البولندية نادرا ما تثار. لكن مع هذا فإننا نأمل أن يقوم بيان المكتبات متعددى الثقافات الخاص بإيفلا/اليونسكو والمتبنى من قبل جمعية المكتبيين البولنديين فى ديسمبر عام 2009 بلفت المزيد من الإنتباه لهذه القضية.

مع تحيات مركز الإفلا للمكتبات الناطقة باللغة العربية
مكتبة الإسكندرية